القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما في الجزء السابق)

تقدم لنا ان العقل والحرية في الانسان قوتان لا حظَّ للبهمية فيهما مما يدل صريحاً على مخالفة المبدأ العاقل في الانسان عن العجماوات وذكرنا ما يسع المقام من الادلة العقلية ولا مانع من ان نشفع ذلك هنا بالادلة الطبيعية الظاهرة التي نعتمد في صدقها على مراقبة الافعال الظاهرة في الاثنين وهي اختبارات سهلة لا تقتضي تحمل مشاق السفر ولا بناء المعامل وتجهيزها بآلات التشريح وغيرها لان الانسان قريب من نفسهِ ومن اكثر انواع الحيوان فاذا نظر في نفسهِ رأى فيها من الاسرار ما لا يسعهُ البيان ومن الوجدانات ما لا يحتمل البرهان لوضوحها ورسوخها ولا سيما اذا قابل نفسهُ بما يدنو اليهِ من الحيوان فيرى انهُ يتعالى عنهُ علوًّا عظيماً ويختلف اختلافاً جوهرياً ولا يرضى ان يقال لهُ قرد ولا كلب ولا نحلة ولا نملة على سبيل المجاز والتشبيه. ولا اتجاوز في ذلك الاوجه الثلاثة التي تحسب بالاتفاق دليلاً على العقل وهي اللغة والافعال العقلية والادبية

فاما اللغة فلا يخفى ان الانسان يستخدم الكلام ليعبر عما في نفسهِ من المعاني الكلية والجزئية فيختار الفاظاً مختلفة الاصوات ذات مقاطع كثيرة تختلف عن الاصوات البسيطة من حيث التركيب ومن حيث الدلالة على المعنى فان مفهوم اللفظ المفرد غير محصور في مفرد معين فلا علاقة لازمة بين لفظ الاسد مثلاً والحيوان المفترس الاوضع الانسان العاقل هذا الاسم

لهذا المسمى الشائع في جنسهِ شأن النكرات والافعال التي هي اكثر ابهاماً اذ تدل على معنى لا يستقلّ بنفسهِ وكذلك الحروف حيث ان كل الفاظ اللغة يدل على معانٍ مبهمة مشتركة كلية ولا تدل على معنى تام اي يصح السكوت عليهِ الا في حالة الاسناد فلا بد لذلك من قوة عقلية تتصرف بالمعاني الكلية وهذا حكم عام في كل لغة مهما كانت بسيطة التركيب قليلة المعاني فان الانسان الناطق بها يتصرف في الفاظها للدلالة على المعاني التي في نفسهِ ويقصد بيانها بذلك ويكون كلامهُ دليلاً على تعقلهِ بحيث يُعرَف مقدار علمهِ وسعة مداركهِ من معاني كلامهِ واذا ضاق معهُ مجال الكلام استخدم الرسوم والاشارات وغيرها مما يدل على انهُ ناطق جوهوياً وان صمت

اما البهيمة فليس بها من اللغة الا الاصوات وهي لا تعلق عليها معنى ولا تريد بها امراً معلوماً فلو كانت هذه الاصوات ذات معانٍ معقولة باصول ثابتة لادركها الانسان وتعلمها نظير ما يتعلم باقي اللغات وبالتالي لوكان في البهيمة عقل لابدتهُ صريحاً بكلامها وما احتاجت الى الانسان ليعلمها بعض الفاظ لا تزيد عليها ولا تدرك معانيها ولذلك لا تتصرف في الفاظها ولا في معانيها ولا تخرج عن كونها اصواتاً طبيعية صدرت عن سبب خارج اثر في الحواس اثراً حسياً طبيعياً فتكون من ثم دلالتها على هذه الاسباب دلالة طبيعية كدلالة صوت الساعة على عدد الساعات ودلالة الدخان على النار فلا يعلّق عليها معنى مقصود ولا يراد بها بيان شيء معلوم وقد يأتيها الانسان ولا يعلق عليها معنى كاصوات البكآء والضحك وغيرها ولذلك لا يقدر ان يتصرف فيها ولا يكتمها لانهُ مدفوع اليها بالطبع ويلزم من ذلك

ان لغة البهيمة صادقة ابداً اذ ليس بوسعها ان تكتم ما اثر فيها او ان تتصرف فيهِ وهي لا تزيد بالدلالة عن المحسوسات ولا تختلف الا نغماً بين حسن وقبيح كصوت البلبل والغراب ولا يختلف عواء الكلب عن صوت الفرح والمحزون بل ان تسميتها بالعجماوات دليل واضح على ذلك

والنتيجة ان كلام الانسان من حيث تركيبهُ من مقاطع مختلفة ودلالتهُ على معانٍ مشتركة كلية وجزئية دليل قاطع على ان فيهِ قوة عقلية متصرفة لا حظ فيها للبهيمة اذ ليس لها شيء من لغتهِ وكلامه لا لفظاً ولا معنى لان الاصوات لا تدل على وجود العقل في صاحبها كما لا تدل دقة الساعة على وجود العقل فيها ولا يجوز ان نسلم بوجود العقل فيها قبل ان تأتي بلفظ او معنى غير معانيها الحيوانية الدنية

واما الافعال العقلية فلا شك ان التمدن الحالي بما فيهِ من تقدم الاختراعات والاكتشافات واتساع المعارف وتعدد العلوم اعظم دليل على عقل الانسان لكونهِ ذا قوةٍ مفكرة يدرك الكليات ويتصرف فيها لانهُ اذا تأثرت حواسهُ استدل بديهياً ان هناك سبباً اثر فيها هذا الاثر اي ينتقل الذهن من اثر الحواس الى المؤثر فيها ولا يزال ينتقل ذهنهُ ويجول خاطرهُ حتى يصل الى المطلوب الذي يقصدهُ في نفسهِ ويبحث عنهُ بطريق القياس او بطريق الاستدلال مما هو مقرر عندهُ من الاحكام الاولية الكلية لان الكليات تشمل كثيراً من الذوات والاعيان . فاذا ادرك العقل اذاً معنى كلياً انتقل حالاً الى ملازمهِ الذي يتبادر الذهن اليهِ لنسبة او علاقة قريبة بينهما . والغاية ان الفكر لا يمكن ان يُحصَر في دائرة جزئية ولم يصل الى

هذا التمدن الحالي الا باعمال عقلهِ في مقاصدهِ بان اختار مادة تناسبهُ وآلةً تساعدهُ وهو يصيب ويخطئ شأن الصانع الذي لا يزال يعالج عملهُ حتى يكون تامًّا على مرادهِ كالصورة التي في نفسهِ ولا يزال سالكاً في سبل من تقدمهُ منذ الوف اعوام مجدًّا الى كل جهة من المعارف لا يقف في سبيلهِ مانع مع انهُ يولد ضعيفاً جاهلاً لكل شيء فلا يلبث ان يدرك حالاً الوجدانيات والاوليات والمشاهدات وما وراءها من المعقولات ويمثل لنفسهِ اعمال من سبقهُ فيجري على اثرهِ عن معرفة وبصيرة ويتدارك ما يأتي بهِ الزمان ويتسلط على الخلق ويتصرف فيهِ حتى يقود القطيع الكبير وهو ولدٌ صغير وقد قام وحدهُ بامر العلوم العقلية والصنائع اليدوية على اختلافها حتى تعلم ما لم يعلم وعلم الحيوان ما لا يعلم وليس لهُ من القوة الا عقلهُ وبهِ تغلب على الحديد فألانهُ وعلى الاسد فصادهُ وعلى الطير فطالهُ وساد الخلق كلهُ بعقلهِ

(ستأتي البقية)

طوابع البريد

كان اول ظهور طوابع البريد في فرنسا سنة ١٦٥٣ فلبثت تُستعمَل مدةً ثم أُهملت في زمنٍ مجهول فلم يتنبه لها احدٌ الى سنة ١٨٢٣ وفي تلك السنة عرض المسيو ترينبرج من مبعوثي اسوج على حكومة استكهلم اعادتها فلم يفلح واستمرّ الامر كذلك الى ان جددها الانكليز سنة ١٨٣٩ فاجروها في الاستعمال ثم تبعتهم فيها حكومة البلجيك سنة ١٨٤٧ الا ان استعمالها لم يشع في هذه البلاد الا منذ اول يوليو سنة ١٨٤٩ وجرت